نود أن نشير إلى أهمية العقل - بإيجاز - في الفكر الإسلامي سيما أن المحافظة على العقل من المقاصد والغايات العليا للشريعة الإسلامية الغراء. ولهذا نجد دعوة الإسلام العظيمة للاحتفاء به في مواضع عديدة من القرآن الكريم، من أجل هذا دعا الإسلام إلى تحطيم كل العوائق أمام العقل الإسلامي[1].

كما دعا إلى نبذ التقليد الذي يعطله عن أداء وظيفته، وهذا ما جاء به القرآن الكريم ونبه إلى خطورة هذا المسلك.. يقول المولى تبارك وتعالى:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 170].

وقد اهتم الفلاسفة وعلماء الكلام بالتأكيد على هذا لأمر نبوي حجة الإسلام الغزالي (450 - 505هـ) أن العقل نموذج من نور الله[2] وقال عنه الجاحظ (توفى عام 250هـ): أنه وكيل الله عند الإنسان[3].

ثالثًا: جدلية النص والعقل عند علماء الكلام:

من المعلوم أن ابن خلدون يُعرف علم الكلام بأنه علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقاد عن مذاهب السلف وعقائد أهل السنة. ويمكننا أن نستنطق التعريف بأن علم الكلام ينطلق في الأصل من النص الديني ثم يتم تعقل النص الديني من

(1) انظر: عباس محمود العقاد: التفكير فريضة إسلامية ص 18.
(2) الغزالي: مشكاة الأنوار ص 64 القاهرة 1964م.
(3) نقلا عن د. محمود حمدي زقزوق دور الإسلام في تطور الفكر الفلسفي مكتبة وهبه ص 7.

خـلال الدليـل العقلي، وبـين الدليل النقـلي والعقلي كان اتجـاه هذا المذهب أو ذاك، ومـن هـذا ذهبنا إلى جدلية النص والعقل بخلاف الفيلسـوف الذي يختلف في نهجه وغاياته عن المتكلم، فالفيلسوف ينطلق من العقل ويرى أن هـذا هو غايته ويتم التوفيق أحيانًا بين العقل والنص، ويبدو أن هذا ما دفع ابن رشد إلى القول «فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال» أو الفصل بين الفيلسـوف والطريق الشرعي فكلاهما فصل على مسـتوى المنهج واتصـال على مسـتوى الهـدف والغاية. هـذا في الوقت الذي نـرى المتكلم يـوازن بين العقل والنـص، وأحيانًا إلى حد كبير رغم أخْـذه بالتأويل أحيانًا لعلاج الصفـات الخبرية بخلاف المدارس الأخرى التـي ترى جدلية الدليل النقلي والعقلي أو الاستفادة بهما مع ملاحظة أن هذه الجدلية هي التي أفرزت الاتجاهـات الكلامية المختلفـة والنتائج المترتبـة أيضًا على معالجـة القضايا والمشكلات.

رابعا: دور العقل في المعرفة:

أعطت المدرسـة الكلامية على اختلاف توجهاتهـا للعقل المكانة اللائقة في المعرفة والتدليل على الأصول الاعتقادية، فيرى التفتازاني أن أسباب العلم ثلاثة: الحواس السـليمة، والخبر الصـادق، والعقل الذي يحكم الاسـتقراء، ووجـه الضبـط أن السـبب إن كان من الخـارج فالخبر الصادق والإنسـان كان آلة غير مـدلاك، وإنما الحواس والأخبار فطريـق للعقل في الإدراك[1].

(1) التفتازاني، شرح العقائد النسفية، ص 15، مكتبات الكليات الأزهرية، تحقيق أحمد حجازي، القاهرة.